ترجمة كلمة سعادة الدكتور

خورشيد أحمد

الفائز (بالاشتراك) بجائزة الملك فيصل العالمية

لخدمة الإسلام لعام 1410 هـ / 1990 م

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء

ورئيس الحرس الوطني

أصحاب السمو

أصحاب الفضيلة والمعالي

أيها الحفل الكريم

إنه لشرف عظيم وتقدير متميز لي أن تختارني لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية أحد الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام. أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على هذا التقدير الكريم من أمة الإسلام لخدماتي المتواضعة جدًا في سبيل نشر القضية التي أرسل الله أنبياءه من أجلها (صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا)، والتي كافح في سبيلها علماء وجنود الإسلام خلال الأربعة عشر قرنًا الماضية. وأني لأقول بصراحة أن روحي ترتعد لإدراكي كم كانت جهودي في هذا الميدان ضئيلة وليست ذات أهمية. إن تقديركم شرف لي، لكنه يعني اختبارًا وتحديًا عظيمين لي أيضاً. إنني لأسال الله أن يُمكّنني من أن أكون بمستوى الثقة التي أولاني إياها إخوتي. كما أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذه الأعمال المتواضعة، لأن غرضي من ورائها كان ابتغاء رضاه وحده، وأن يكون لي فيها بعض العون يوم يُجزى كل منّا بما فعل.

صاحب السمو

أيها الأصدقاء والزملاء

اسمحوا لي أن أعترف لكم بأن الشرف الذي أسبغتموه عليّ يمكن أن يكون ذا صلة في ظاهره بالجهود التي قمت بها على مدى الأربعين سنة الماضية، ولكنه شرف يشاطرني فيه عدد من الشخصيات والحركات والمعاهد التي مكنني دعمها وعونها وتوجيهها في أن يكون لي دور متواضع في نشر الفكر الإسلامي والدعوة إلى الدين الحنيف. ويعود الفضل في تكويني الفكري إلى والديّ

(رحمهما الله) فهما اللذان جعلا هدف حياتهما الأسمى تنشئتي مسلمًا وغرسا في قلبي الولاء للإسلام وقيمه السامية. وكانت الأفكار والأمثلة الحية التي جسدها محمد إقبال وسيد أبو الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب (رحمهم الله جميعًا) القوة الحاسمة في تكوين النماذج التي اهتديت بها في مجال الفكر وتحديد مسار حياتي منذ مطلع شبابي. وقد انبهرت بهذه المؤثرات، مما جعلني أتشرب المعنى الحقيقي للإسلام على أنه منهج متكامل للحياة والتزام يجب أن تحيا به وله وأن تكافح من أجل تحقيق سيادته في كافة مجالات الحياة الأخرى.

"قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" الأنعام – 162

"هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" الصف – 9

إن هذا الإدراك لرسالة الأنبياء والالتزام المستمر بالسير على هديها حتى النفس الأخير، غير طريقتي في الحياة، وحفزني لأجعل القران وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الينبوع الحق لهدايتي وشحذ همتي للسعي كي أعيش وأكافح وأموت كداعية للإسلام. كانت جمعية الطلبة المسلمين في باكستان المهد الحقيقي لتنشئتي حيث حصلت فيها على تعليمي وتدريبي الأولين (1949 – 1956)، أما الجماعة الإسلامية الباكستانية فكانت الحركة التي جعلتني على ما أنا عليه ووفرت ليّ كل الفرص لأتعلم وأحيا حياة الإسلام وأشاطر الآخرين نعمه، ولم تكن المؤسسة الإسلامية في ليستر بالمملكة المتحدة، والجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد وبخاصة المعهد الدولي للدراسات الإسلامية التابع لها، ومعهد بحوث الاقتصاد الإسلامي، وجامعة الملك عبد العزيز في جدة والرابطة العالمية للاقتصاد الإسلامي في المملكة المتحدة، سوى غيض من فيض من المعاهد التي عملت من خلالها مع كامل الدعم الذي وفره ليّ إخواني الذين نذروا حياتهم لخدمة هذه المعاهد. ولذلك فإنكم لا تكرموني وحدي بهذه الجائزة، بل تكرمون جميع تلك الشخصيات وتلك الحركات والمعاهد.

صاحب السمو الملكي

أيها الزملاء الأفاضل

تقف الإنسانية اليوم على مفترق طرق. لقد دفعت حضارة الغرب القائمة على العلمانية والقومية والاقتصاد الحر المجتمع الإنساني أخيرًا للوقوع في أزمة احتضار. إن الإنجازات البارزة في ميادين التقدم المادي، والاختراعات العلمية والتحولات التقنية وعمليات إعادة التنظيم السياسية المتكررة فشلت في تنظيم بيت الإنسانية. تعلم الإنسان السباحة في المحيطات كالسمكة والطيران في السماء

كالطيور، لكنه لم يتعلم العيش على هذه الأرض البائسة إنسانًا صالحًا. لأن روحه خاوية ولأنه يتلمس طريقه في السير من قفر إلى قفر. لقد ظهرت الاشتراكية والشيوعية إلى الوجود ترافقهما ضجة إعلامية هائلة، ولكن بعد سبعين سنة تعرت الأسس الهشة التي تقوم عليها. لقد كان الإنسان بائسًا في "الفردوس الاشتراكي" مثلما أصبح بائسًا في "العالم الجديد الشجاع" لرأسمالية الغرب. إن التجربة المتسمة بالمبالغة في بناء حضارة تقوم على أساس فصل الدين عن المجتمع قد أثبتت فشلها المريع. حيث تواجه الإنسانية اليوم احتمالات قوية بالفناء بسبب قوى من اختراعها. إن الدمار الوشيك يمكن تفاديه فقط من خلال التخلي عن النموذج المسيطر وإيجاد مجموعة جديدة من القيم تكون أساسًا للحضارة. وإن الإسلام ليقدم الأساس البديل المنظم لحياة الإنسان والمجتمع. إنه يخاطب الإنسان كإنسان، ويجعل الفرد حجر الزاوية في برنامج إصلاحه، من خلال إيقاظ جذوة الإيمان في داخله والتي من شأنها تغيير روح الإنسان وتحفزه للقيام بدور خليفة الله في الأرض. إنها تغير الإنسان من داخله، وتعبئه في سبيل إعادة بناء المجتمع ومؤسساته، وأخيرًا فإنها تسخر القوة لخدمة الفضيلة والعدالة. إنها لا تنفي ولا تهمل الأبعاد المادية والطبيعية للحياة، بل تسيطر عليها وتسخرها لخدمة المثل الأخلاقية والأغراض الاجتماعية الأسمى. وإن الإسلام لينادي بالاعتدال وهذا ما تفتقر إليه الإنسانية في تلمس طريقها الصحيح. فخير الأمور أوسطها. إن الأمة الإسلامية تتحمل مسئولية جسيمة، إزاء نفسها بخاصة وإزاء الجنس البشري عامة. نحن القيّمون على رسالة الله العظيمة التي أنزلها إلى البشر. ولا يمكننا أن نقوم بهذه المسئولية الجسيمة إلا من خلال مشاركتنا هذه النعمة مع الجنس البشري كافة. ولا يتم تحقيق ذلك إلا من خلال الدعوة. إن واجبنا ليس أن نبلغ هذه الرسالة إلى الناس كافة، مسلمين وغير مسلمين على حدٍ سواء، بل لترجمة هذه الهداية سلوكًا يتجلى في حياتنا، أفرادًا وجماعات، وبذلك يمكن للعالم أن يرى القدوة الإسلامية بأم عينيه. لقد كانت هذه استراتيجية الدعوة التي نادى بها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) حيث أبلغ رسالة الله ليس من خلال الكلام فحسب بل جسَّدها أيضاً في سنته، على صعيد الفرد والجماعة، على شاكلة مثال المدينة المنورة.

وحالما يطابق القول الفعل، سيتلاشى الشر وتسود الحقيقة. إن الحاجة الملحّة للمسلمين تكمن في إعادة ترتيب بيتهم وإنارته بضوء الإسلام وتقديم النموذج الإسلامي للعالم، كفرد وكمجتمع، بشكله الصحيح، وهذه هيّ الطريقة الوحيدة التي يمكننا أن نحقق بها دعوتنا.

وقبل أن أختتم كلمتي، اسمحوا لي مرة ثانية أن أتوجه بشكري إلى مؤسسة الملك فيصل الخيرية ولجنة اختيار الجائزة وحكومة المملكة العربية السعودية للشرف الذي أسبغوه علي، وإلى بلدي باكستان، وإلى الحركة الإسلامية التي أنتمي إليها. وتعبيرًا عن التزامي بالدعوة الإسلامية، فإنني أهب المكافأة النقدية المخصصة لي من هذه الجائزة: وقفًا يصرف نصفه في سبيل نشر الدعوة الإسلامية بين صفوف الشباب من خلال جماعة الطلبة المسلمين بباكستان، ونصفها الآخر لأعمال الدعوة الإسلامية في أوروبا من خلال المؤسسة الإسلامية في ليستر بالمملكة المتحدة.

ونسأل الله العون والتوفيق